على تقديم طلبات الدعم غير الواردة في الأوراق الرسمية، فاجأتْني بتأكيدها أنّ الشرط مسجَّل في أوراق الطلب. وقد حاولتُ عبثًا إقناعَها بعدم صحة ذلك، الأمرُ الذي يوضح ضمنًا قناعتَها بعدم شرعية إضافة ذلك الشرط. والحقّ أنّ تمسُّكها غير المنطقي بوجود ذلك الشرط في الموقع جعلني أشكّ في معلوماتي، فطرحتُ اعتراضي الأساس، وهو مساءلةُ مشروعية طلب التقرير المالي أصلاً. المفاجآت لم تتوقف لأنّ السيدة زينة عريضة أجابتني: «كلّ العالم بيطلبوا التأْرير المالي!»

«كلّ العالم»؟!

للوهلة الأولى شعرتُ بغبطة لا نظير لها تحيط بي من الجهات الأربع. فالسيدة، أمينةُ سرّ مجلس الأمناء، اطّلعتْ على شروط عشرات الآلاف من المؤسّسات الثقافية في «كلّ العالم.» لكنّني راجعتُ ظنوني لأنّ دار قُدْمس تتعامل مع أكثر من ٢٥ مؤسسة ثقافية حكومية وخاصة تدعم بعضَ إصداراتنا، ولم يسبقْ لأيّ منها أن طلبت تقريرًا ماليّاً نرفضه من الأساس. ومن المفترض أنّ السيدة زينة عريضة لو كانت مهتمةً بسمعة «الصندوق» وأدائه لألقت نظرةً على أوراقه، والتأكد من غلطها هي وصحّةِ معلوماتي، والمبادرة إلى الاعتذار.

«الصندوق» هذا مصمِّم على السير في طريقه، هذه المرة بكيفية الإعلان عن «الفائزين» بالمنح. فمع أنّه أَبلَغَنا أنّه سيعلن النتائج بتاريخ ٢٠٠٨/١/٥، فقد فوجئتُ بتسلُّم رسالة إلكترونية عامة عنوانها Grants Results يوم ٢٠٠٧/١٢/١٧ تُعْلم المستلمَ برفض طلبه، حرفيّاً:

«السادة الأعزّاء: تحيّاتنا لكم من عمان، نشكركم لاهتمامكم بالتقدّم بطلب الدعم من الصندوق العربي للثقافة والفنون. لقد قامت لجانُ التحكيم المكوّنة من مختصّين معروفين بتقييم جميع الطلبات. ويؤسفنا أن نعلمكم بأنّه لم يقع عليكم الاختيارُ للحصول على الدعم المالي من الصندوق العربي للثقافة والفنون هذا العام...»

وأعقبتْ هذه الرسالةَ التعميميةَ رسالةٌ إلكترونيةٌ أخرى في اليوم ذاته تعتذر عن رسالة (grants results) لأنّها أُرسلتْ بالغلط!

من الواضح أنّ «الصندوق» في حاجة إلى إضافة صفة «المفاجأة» إلى اسمه. ذلك أنّه فاجأنا بإعلان نتيجة المِنح في مؤتمر صحفي يوم ٢٠٠٧/١٢/٢٠. ولأنّ «الصندوق» معنيّ بالثقافة، كما يُستدلّ على ذلك من اسمه؛ ولأنّ الشفافية من أصول العمل الثقافي الجدّي؛ فمن المتوقَّع قيامُه بإعلان حيثيات قراراته كي يُكسبها شرعيةً في أعين الجمهور. لكنّ غدًا لناظره لقريب! فالمسألة في نظري ليست قرارَ المَنْحِ أو حجبَه، وإنما كيفية اتخاذ القرار وأسبابه.

إنّ ممارسات «الصندوق العربي للثقافة والفنون» التي لا تخلو من غطرسة، وتعالٍ، وارتكاب تصرفات تقع خارج أصول أيّ عمل، أقنعتنا بعدم جدية هذه الجماعة في عملها إلى اليوم، وافتقادها إلى الحدّ الأدنى من الحِرَفية. وبالمناسبة، فإنّنا لم نستلم إلى اليوم أيَّ إعلام رسمي بالنتائج.

❖ ❖ ❖

لن أخوضَ في تفاصيل إضافية، بل أُنهي حديثي إليكم باعترافي بذنوبي الماضية والمستقبلية، ومنها النظرُ بانفتاح وجدية إلى آفاق الثقافة العربية ومؤسّساتها، ناسيًا أنّ «الأفق» خطٌّ وهميّ يرسمه الرائي: كلما اقتربَ منه ابتعدَ عنه!

بيروت